باب المرض في ألفاظ ابن السكيت

دراسة في الأسماء والبدء منها

أ.م.د. روعة محمود*

تاريخ التقديم: 2007/5/20 تاريخ القبول: 2007/6/14

المقدمة

يعد هذا البحث امتداداً لبحث سابق كان تحت عنوان (باب المرض في ألفاظ ابن السكيت (ت 244هـ) دراسة في المترادف والأعراض) إذ إنّ ميدانهما واحد. فخيوط الربط داخلة في الحقل الدلالي الذي ينتمي إليه البحثان وهو (باب المرض) في ألفاظ ابن السكيت.

والدراسة في هذا البحث اختصت بما وقع في هذا الحقل من أسماء الأمراض والبرء منها. فجاء البحث في محورين الأول أطلقنا عليه أسماء الأمراض، والثاني وسمناه بألفاظ البرء. وقد مهدنا لكل محور في موضعه، واتبعنا المنهج نفسه في تحليل الألفاظ، وذلك باعتماد منهجية المصنف في تسلسل الألفاظ، وجاء عدد الألفاظ في المحورين متناسقاً إذ تضمن كل محور عشرة ألفاظ. ومن الجدير بالذكر أنّ لفظة عمىً من قولهم قد غُمِيَ عليه وهو مغمي عليه التي أدرجها المصنف مع أسماء الأمراض استثنيناها من التحليل؛ لكون اللفظة عرضاً عاماً فضلاً عن أنها غير متلازمة مع الأمراض.

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

المحور الأول: أسماء الأمراض

تمهيد

تناول هذا المبحث الألفاظ المتعلقة بأسماء الأمراض الذي أوردها المصنف ضمن الحقل الذي ينتمي إليه، وقد ذكر ابن سينا [1] (428هـ) أن الأمراض تلحقها التسمية من وجوه، إماّ من الأعضاء الحاملة لها كذات الجنب، وذات الرئة، أو من أعراضها كالصرع أو من أسبابها كقولهم مرض سوداوي، أو على التشبيه كداء الأسد وداء الفيل، وعدد الألفاظ المحللة في هذا المحور عشرة ألفاظ ، وقد ذكرنا سبب تسمية كل مرض فجاء بعضها مشتقاً من العضو المصاب، أو من السبب أو المسبب، أو من الأثر الذي تركه المرض، وقد فصلنا القول كل في موضعه.

1- **الرَّثية:** "الراء والثاء والحرف المعتل يدل على رقة وإشفاق. يقال، رثَيْتُ لفلان: رققت [2]". والرَّثْية عند المصنف"الوجع في المفاصل واليَدَيْن والرّجْلَين [3]"وأنشد لأبي النَّجمْ [4]:

لكلّ شيخٍ رَثَياتٌ أرْبَعُ الرُّكبتان والنَّسَا والاخدعُ

ولا يزال رأسُهُ يُصَدَّعُ وكلُ شَيْءٍ بَعْد ذاك يَيْجَعُ

"والمعنى أن الإنسان إذا كَبُر لزمته هذه الأوجاع الى أن يموت لا يُرجا له منها بُرء[5]". واختلف في تحديد موضع هذه الأوجاع، فهي عند المصنف كما بينا وجع

(1) القانون في الطب، الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن علي بن سينا، 78/1، طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس/ 421، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 2001م.

(3) كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ (تهذيب الألفاظ: الأصل لابن السكيت وهدنة التبريزي، تحقيق: لويس شيخو/ 114، بيروت 1895.

(4) ديوانه/ 74، صنعة: علاء الدين اغا، الرياض، 1981.

(5) هامش الألفاظ/ 114.

في المفاصل واليدين والرجلين وعند ابن فارس [6] وجع المفاصل بشكل عام، وذهب ابن سيده [7] الى ما
ذهب اليه المصنف وزاد انه كل ما منعك من الانبعاث من وجع أو كِبَر، وقيل هو ورمُ وضّلاع في القوائم. كل هذه المعاني للفظة لا تعطينا سبب تسمية المرض وانما هي مجرد وصف لأعراض هذا المرض وهو الضعف نتيجة وجع اليدين والرجلين، واستشهد المصنف ببيت لامرىء القيس[8]:

وَلَسْتُ بذِي رَثْيَةٍ اِمَّرٍ إذا قِيدَ مُسْتَكْرِهاً أصْبَحا

"أي لست بضعيف من الرجال وليست بي رثية تمنعني من التصرف والنهوض"[9].

وبعد توثيقنا للمرض طبياً تبين لنا ان التهاب المفصل ناتج عن خلل في جهاز المناعة يَعِدُّ غشاءَ المفصل عدوّاً له ويبدأ بمهاجمته فيحدث خَللاً في وظيفة العضلات المحيطة بذلك المفصل فيؤدي الى إحداث هذه الرقة فيه ويبدأ الورم الذي يؤدي الى ضُلاع بسبب ضعفه، فتسمية المرض ناتجٌ عن الأسباب التي أدت الى ضعف المفصل ورقته ويسمى علمياً التهاب المفصل الرثوي أو الروماتزم[10].

(6) مقاييس اللغة/ 421.

(7) المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده، 68/5، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

(8) ديوانه/ 129، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف مصر، 1969م.

(9) هامش الألفاظ/ 115.

(10) Davidson's principles and practice of medicine. christopher haslett, et-al , 19Th Edition , 2002 , Churchill Living stone p.1002-1003.

2- فَرْسة: قال المصنف "يُقال أخذته فَرْسَة وَهُوَ أنْ تَزُولَ فِقرة من فِقَر ظهره"[11].

أما الأصمعي فجعلها فقرتين وحدّها بالعنقية فقال:"يقال للرجل إذا زالت فقرتان من عنقه أخذته الفَرْسة [12]". أما ابن سيده فذهب الى أن الفرسة قرحة تكون في العُنق فتفرسها. ولو رجعنا الى أصل الفرس فهو الدقّ كما قاله الزمخشري (ت 538هـ) [13] واشار اليه ابن فارس [14] . وأصله دَقُّ العنق وكسرها، ثم صير كل قتل فرسا، وقد فرس الذئب الشاة فرسا، أي أخذها فدق عنقها. ومنه سمي الفرس واحد الخيل ؛ لدقه الأرض بحوافره[15] .

فالفرسة هي تحطم فقرة أو فقرتين من فقرات العنق تؤدي الى إصابة النخاع الشوكي إصابة بليغة ينتج عنها إصابة المريض بالشلل الكامل أو الموت المباشر، لان توصيف المرض كما تبين هو زوال الفقرة وليس زللها، فتسمية المرض جاءت من الفعل الذي أصاب الفقرة وهو الدق.

3- ديم به ودير به : جعلهما المصنف سواء فقال:"يقال ديم به، ودير به سواء، وأديم بي وأدير بي وهو الدُّوامُ والدُّوارُ إذا دار رَأْسُه [16]". إلا أن الأصمعي حصر الدوام في العين فقال:"وفي العين التدويم وهو أن تُدّور الحدقة كأنها في فلْكَه يُقال: دَوَّمت عَيْنُه تُدَوّمُ تدويما 000 ومن ثَمَّ سُميّ الدُّوَّام لدورانه" [17]". من هنا جعلهما المصنف سواء. واللفظة من المجاز، يقال: دوّمت الخمر شاربها، إذا سكر فدار [18]. وخير من وصف لنا دوار الرأس الثعالبي (ت 429هـ) إذ قال:"أن يكون

---

(11) الألفاظ/ 115.

(12) خلق الإنسان/ 211، ضمن مجموعة الكنز اللغوي في اللسن العربي، تحقيق، أوغست هفز، بيروت 1903.

(13) أساس البلاغة/ 469، دار ومطابع الشعب، القاهرة 1960.

(14) مقاييس اللغة/ 810.

(15) تاج العروس، محب الدين الزبيدي، 205/4، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1888م.

(16) الألفاظ/ 115.

(17) خلق الإنسان/ 185.

(18) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، بن حماد الجوهري، 1922/5، تحقيق احمد عبد الغفار عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.

الإنسان كأنه يدار به وتُظلم عينه ويهم بالسقوط [19]". فالدوام والدوار سواء وهو من وجع الرأس [20]. وقد وردَفي حديث عائشة رضي الله عنها وصفُ لعلاج هذا الدوام إذ "أنها كانت تصف من الدُّوام سبع ثمرات عجوة في سبع غدوات على الريق"[21].

4- عقابيل وعقابيس: قال المصنف"يقال للبقايا من المرض والعداوةِ والعشق: عقابيل وعقابيس" [22]. وذهب ابن فارس أن اللفظة من (عقب) واللام فيها زائدة وهو مرض يعقب المرض العظيم [23]. والعقابيس أيضا بقايا عقب الأشياء كالعقابيل [24]. ويجوز أن تكون السين بدلاً من اللام [25]. والعقبول: قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض والجمع العقابيل. واكثر ما تظهر على الشفة غِبَّ الحُميّ [26]. قال رؤبه[27].

مِنْ وِرْدِ حُمَّى أسْأرَت عَقابِلا

أي أبقت وتركت أثراً.

فتسمية هذا المرض كانت نتيجة للأثر الذي يتركه مرضٌ اشد منه، أي يعقبه نتيجة مرض أو عداوة كما بيّن المصنف.

---

(19) فقه اللغة وأسرار العربية/ 124-125، مطبعة البابي الحلبي، 1900م.

(20) المخصص 73/5.

(21) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير 142/2، تحقيق طاهر الراوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، القاهرة، 1963م.

(22) الألفاظ/ 115.

(23) مقاييس اللغة/ 763.

(24) تاج العروس، 184/4.

(25) كتاب الإبدال ، أبو الطيب اللغوي، 207/2، تحقيق عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961.

(26) جواهر الألفاظ/ البغدادي/ 303.

(27) مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة/ 124 وشطر البيت تُبْقي صُدَاعاً ونَحيباً ساعلا.

5- السُّحاف:"السَحْفُ من قولهم: سحف رأسه يسحفه سحفاً إذا حلقه"[28] فاستأصل شعره[29]. والسُحْفة:"الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين" [30] والسحائف: طرائق الشحم الذي بين طرائق الطفاطف، والطَفْطَفة: الخاصرة، وكل لحم مضطرب مسترخ وجمعه طفاطف [31]. والسُّحَافُ عند المصنف نقلاً عن الفراء: السِلُّ [32]، وعند ابن سيده وجع يأخذ بين الكتفين يحمّ صاحبه وينفث مثل العلق[33].

وقد أجاد الجوهري في تحديد موضع السُحفة والتي منها السحاف كما بينا آنفاً وكأن لديه جهاز تصوير فالمرض عادة يشمل الصدر والعمود الفقري وأسفل الظهر وجهاز الهضم، وأعراضه سعال مع نفث دم، وضيق تنفس، وفقدان شهية تؤدي الى فقدان الوزن مع حمىّ وتعرق في الليل [34]. وقريب من هذا وَصْفُ الثعالبي للمرض إذ قال السل: "أن ينتقص لحم الإنسان بعد سُعال ومَرَض وهو الهَلْسُ والهُلاس" [35] فهذه الأعراض مجتمعة تؤدي إلى نحول الجسم بشكل تدريجي، (كونه مزمنا) فيسحف الجسم كما يسحف الشعر بالحلق. فتسمية المرض جاءت من الأصل اللغوي للفظة، لذا يقولون عند الدعاء على الكذاب: سحفه الله[36] .

---

(28) جمهرة اللغة، ابن دريد، 153/2، ط1، طبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية، وأعيد طبعه في مكتبة المثنى بغداد، 1926 م.

(29) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ابن سيده، 147/3، تحقيق: مصطفى السقا، حسين نصار، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1958م.

(30) الصحاح، 1372/4.

(31) هامش الصحاح، 1372/4.

(32) الألفاظ/ 115.

(33) المخصص، 68/5.

(34) Davidson's principles and practice of medicine 535-537.

(35) فقه اللغة/ 126.

(36) ينظر الألفاظ/ 115.

6- البَدَلُ: البدلُ"وجع في اليدين والرجلين، يقال بَدِل يَبْدَلُ بَدَلا"[37]. واللفظة جاءت من البأدلة وهي عند ابن دريد [38] (ت 321هـ) لحم الصدر، وعند الفيروز آبادي[39] (ت 817هـ) لحمة بين الإبط والثّندوة[40]، وقيل ما بين العنق والترقوة[41].

وحكى صاحب اللسان عن أبي عبيد أن البأدلة اللحمة في باطن الفخذ [42]. يقال: شكا بأدلته على حكم المصوغ من ألفاظ الأعضاء وردها ابن سيده الى الثلاثي (بَدِلَ) كفعل المصنف وقال:"وبذلك قضينا على همزتها بالزيادة وهو مذهب سيبويه في الهمزة إذا كانت الكلمة تزيد على الثلاثة" [43]. نستنتج من هذا أن الزيادة قد تحصل بعد الفاء في الميزان الصرفي (فعل). ويتضح لنا أن المريض إذا شكا وجع اليدين فتكون البأدلة هي لحم الصدر أو اللحمة بين الإبط والتندوة، أو العنق والترقوة، وإذا شكا وجع الرجلين فالبأدلة اللحمة في باطن الفخذ وأنشد المصنف لشوال ابن نُعيم[44]:

وتَّمذَّرَتْ نَفْسي لِذَاكَ ولم أزَلْ بَدِلاً نَهارِي كُلَّهُ حَتَّى الأُصُلْ

والتَمَذُّر هو ان تخبث النفس من وجع، من مَذَرت البيضة إذا فسدت. والبادي لنا أن الشاعر يشكو التشنج العضلي، لان أعراضه دامت طوال النهار حتى الأُصُلْ وهو وقت العشي، وتسمية المرض كما بينا جاءت من اسم العضو وهو البدل الثلاثي أو من الرباعي البأدلة.

---

(37) الألفاظ/ 115.
(38) جمهرة اللغة، 247/1.
(39) القاموس المحيط، 333/3.
(40) الثّندوة: مغرز الثدي، وقيل لحمتان فوق الثدي، ينظر الصحاح، 2291/6.
(41) لسان العرب، ابن منظور، 49/11، ط3، دار صادر، بيروت، 1494 م.
(42) لسان العرب، 49/11.
(43) كتاب سيبويه، 307/4، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، 1975. ينظر لسان العرب، 49/11، تاج العروس، 223/7.
(44) ينظر الألفاظ/ 115.

7- النُكاف:"وَجَعٌ يأخذ في اصل الأُذُنِ، يقال به نَكَفَةٌ وهو النُّكاف" [45] وهو أحد الأدواء الذي اشتق من العضو. فالنَكف بالتحريك: جمع نَكَفة، وهي غُدَدٌ [46] صغيرة في اصل اللَحْي بين الرأد وشحمة الأذن [47]. والرأد هو اصل اللحي الناتِئ تحت الأذن[48]. والمرض يصيب الإنسان والبعير، يقال أخذت البعير الغُدّة، وأغدَّ يُغِدُّ اغداداً وهو جَمَلٌ مُغِدٌّ وناقة مُغِدٌّ أي الجمل والناقة فيه. سواء [49]، ويسمى أيضاً النكاف وهو ورمٌ يأخذ في نكفتي البعير وهو داء يأخذ في حلوقها فيقتلها ذريعاً [50]. وهو علمياً مرض فايروسي حاد مُعْد يتميز بتضخم واحدة أو اثنتين من الغدد اللعابية الفكية أو أعلى فكية، ويمكن ان يشمل أعضاء أخرى مثل البنكرياس والجهاز العصبي المركزي ويسمى تشريحياً باللغة الإنكليزية Parotid Gland . وقد يسبب هذا المرض مضاعفات منها التهاب أغشية الدماغ (السحايا) والعقم[51].

8- السُّواد:"السُواد داءٌ يأخذ الإنسان من أكل التمر يجد وجعاً على كبده، وقد سيد وهو مَسُود [52]". والبادي للقارئ من الوهلة الأولى أن تسمية المرض جاءت من اللون فالسَواد في اللون معروف. لكن الذي يثير التساؤل: أجاءت تسمية المرض

---

(45) الألفاظ/ 116.

(46) الغدة والغدد: كل عقدة في جسد الإنسان اطاف بها شحم، وقيل كل عقدة بين العصبة واللحم. ينظر المخصص 95/5.

(47) إصلاح المنطق، ابن السكيت/ 65، تحقيق احمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط 4، دار المعارف مصر، د.ت، الصحاح، 1436/4.

(48) لسان العرب، 169/3.

(49) كتاب الإبل، الاصمعي/ 117. ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي، تحقيق د. أوغست هفنر، بيروت 1903.

(50) الصحاح، 1436/4.

(51) Medical microbiology. Gco.F Brooks et.al 22Edition/ 2001 Lange medical books/ Mecraw – Hill pag 480-481.

(52) الألفاظ/ 116.

من لون المُسَبب وهو (التمر) أم جاءت من لون العضو المصاب (الكبد) أم أن التسمية أطلقت لأمر آخر. أما إن كانت التسمية من المسبب وهو التمر فالعرب تطلق لفظ الأسودان على التمر والماء ومنه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "لقد رأيتُنا وما لنا طعام إلاّ الأسودان [53]"هما التمر والماء اما التمر فأسود وهو الغالب على تمر المدينة، والماء اضيف عليه ونعت به اتباعاً. والعرب تفعل ذلك في الشيئين يصطحبان فيسميان معا باسم الأشهر كالقمرين والعمرين [54]. أما إذا كان من لون العضو المصاب، فالكبد ذو لون مائل الى السواد، والعرب تقول هو أسود الكبد، أي عدو، وهم سود الأكباد [55]. وعلى الرغم من منطقية التعليل إلاّ أننا لم نكتف بمراجعتنا للمصادر اللغوية ورجعنا الى الكتب الطبية الأجنبية، فتبين لنا أن هذا المرض سببه زيادة نسبة الحديد في الجسم، ونعلم أن التمرَ من اكثر الأغذية اغتناءً بالحديد، وهذه الزيادة تترسب وتسبب تدميراً لعدة أعضاء، ومنها الكبد، وكذلك يسبب تلون الجلد بلون رمادي غامق بسبب زيادة صباغ الجلد (الميلانين) خاصة في الأجزاء المتعرضة لضوء الشمس ويُسمى علمياً مرض السكر البرونزي[56].

اتضح لنا ان التسمية وان كان سببها ظاهرياً تغيّر لون الجلد إلاّ أن للمسبب دوراً في هذه التسمية فكما بينا أن ازدياد نسبة الحديد من كثرة أكل التمر أدى الى تَغَيُّر لون الجلد ومن هنا كان السُواد.

9- محروق: "الحرق من الورك مَغْرِزُ رأس الفخذ وفيها عَصَبَة الى رأس الفخذ إذا انقطعت قيل أصابه حَرَقٌ وقد حُرِق الرجل وهو محروق [57]"والحارقتان في محكم ابن سيده:"عصبتان في رؤوس أعالي الفخذين في أطرافهما ثم تدخلان فتكونان

(53) النهاية في غريب الحديث والأثر 419/2.
(54) المصدر نفسه، 419/2.
(55) أساس البلاغة/ 312.
(56) Davidson's principles and practice of medicinc – 870-871.
(57) خلق الإنسان، الأصمعي/ 224.

في نُقرتي الوَركين مُلتزقتين ثابتتين في النُقرتين فيهما مَوْصِلُ ما بين الفخذ والورك وإذا زالت الحارقة عرج الذي يصيبه ذلك"[58].

وأنشد المصنف للحذلمي[59] وهو يصف راعياً يصور لنا حركة الراعي وهو مقطوع الحارقة فيقول:

يَظَلُّ تحت الفنن الوريق يَشول بالمِحْجن كالمحروق

فالراعي يقوم على رِجْلٍ واحدة، يتطاول للأفنان ويجتذ بها بالمحجن فيميلها الى إبله فهو يرفع رجله لينال الغصن البعيد منه لينفضها كأنه محروق، أي كأن حارقتَه قد زالت فأصيب بالعرج[60]، ويزيد ابن سيده[61] في تصوير المشهد بان الراعي يقوم على أطراف أصابعه نتيجة زلل الحارقة أو انقطاعها، وبهذا اتضح أن تسمية المرض مشتقة من العضو وهي (الحارقة) وجاءت على صيغة اسم المفعول من الثلاثي (محروق) للدلالة على ذات المفعول.

10- بحر: ذكر المصنف تصنيفاً للفظه فقال:"ويُقال بحرَ الرَّجُلُ يَبْحَرُ بَحرَاً [62]". ثم عطف عليها كلاماً مفاده أعراض بعير أجهد نفسه في العدو فقال:"وكذلك البعير إذا اجْتَهَدَ في العَدْوِ إمَّا طالباً وإمَّا مطلوباً فيَنقطعُ ويَضْعُفُ ولا يزال بِشَرّ حتى يَسْوَدَّ وَجْهُهُ ويتغَيَّر"[63].

وتوحي حالة البعير بأنه في جَزَع وَفَرق وهذا أحد أصلي اللفظة في اشتقاق ابن دريد[64]، ثم أفادنا الجوهري[65] باسم المرض في اصطلاح الأطباء في عصره فقال:"والأطباء يسمون التغيّر الذي يَحْدُثُ للعليل دفعة في الأمراض الحادة

---

(58) 401/2.
(59) الألفاظ/ 116. لم أقف على ترجمة له في مضان المصادر التي راجعتها.
(60) ينظر: تاج العروس، 311/6.
(61) المحكم، 401/2.
(62) الألفاظ/ 117.
(63) المصدر نفسه .
(64) 191/1.
(65) الصحاح ، 586/2.

بُحرانا". وعلى الرغم من أن المرض غير معروف على الأقل لدى الدهماء من الناس إلا أن له تأصيلاً علمياً طبياً مقارباً لكلام الجوهري وتوصيف ابن السكيت للبعير. فالمرض يطلق عليه علمياً (Fight or Flight) أي واجه أو اهرب وهذا الذي وصفه المصنف بـ (طالباً أو مطلوباً) فهي حالة تعتري الشخص من فزع أو تحيّر أو دهشة شديدة لأمر جلل أو خطب عظيم فيولد لديه توتراً فسلجياً في أعضاء الجسم ينتج عنها زيادة في إفراز هرمون (الادرينالين) و (الكورتيزون) مما ينتج زيادةً في ضربات القلب وارتفاعاً في معدل التنفس وضغط الدم ومستوى منعكسات الشخص وهذا ما يحدث طبيعياً عند تعرض الشخص لخطر مفاجئ يهّدد حياته فيصبح بين خيارين إما القتال (المواجهة) أو الهرب. ناهيك عما يحدث للشخص تحت هذا الضغط من أعراض حادة كما وصفها الأطباء في عصر الجوهري والتي هي مجموعة أعراض متلازمة (توسع الحدقة، تعرق غزير للغدد العرقية، ازدياد سرعة القلب، توسع القصبات، زيادة قوة التقلص، تحرر السكر الأحادي في الكبد، زيادة سرعة تخثر الدم) [66]، وهذا ما حدث في وصف البعير من ضعف وتغير لون.

[66] الفيزياوية الطبية والفيزيولوجيا المرضية، نقله الى العربية د. حسان احمد قمحية، 261/1، المركز التقني المعاصر، دار ابن النفيس، دمشق 1995.

المحور الثاني: ألفاظ البُرء

تمهيـد

وسمنا هذا المبحث بالفاظ البرء، ونعني به الفاظ البرء من الأمراض الواقعة تحت (باب المرض) موضوع الدرس بوصفه حقلاً دلالياً كما بينا.

وأصل البرء: خلوص الشيء عن غيره على سبيل التقصي مما يكره مجاورته [67]، فهو إذن ذهاب أصل الداء من الجسد، أي زوال العرض والمرض، إذ ربما يقع في نفس القارئ تسمية المحور بألفاظ الشفاء، فالشفاء يحتمل زوال العرض دون البت بزوال المرض لذا آثرنا هذه التسمية على غيرها، وكان عدد الألفاظ الواقعة تحت هذا العنوان ثمانية ألفاظ أعقبها المصنف بلفظتين هما اقرب أن تصنّفا مع أسماء الأمراض ؛ ولكن بينا المسوغ الذي حمل المصنف على إدراجها في هذا الموضع.

1- أبَلَّ: قال المصنف:"مرض فلان ثُم اَبَلَّ من مرضه وآستَبَلَّ [68]. من قولهم:"بَلَّ من مرضه يَبلُّ بالكسر بَلاّ، أي صَحَّ [69] ". والبِلّ بالكسر الشفاء من قولهم: بَلَّ الرجل من مرضه إذا برأ[70] وابتلَّ فلانٌ وتبلل: حسنت حاله بعد الهزال[71]. والبلل في اللغة الرطوبة في الشيء [72]. وجعله ابن فارس الأصل الأول من خمسة أصول وقال: هو النّدى [73]. هذا الأصل غلّب الظن عندنا أن المريض كان

(67) ينظر الكليات، ابو البقاء الكفوي/ 231، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1998 م.
(68) الألفاظ/ 117.
(69) الصحاح، 1640/4.
(70) تاج العروس، 233/7.
(71) أساس البلاغة/ 50.
(72) جمهرة اللغة، 186/3.
(73) مقاييس اللغة/ 92.

مصاباً بحمى ثم فارقته فتركت هذه الرطوبة، وهو العرق في جسمه والذي دائماً ما يصاحب المريض بعد الحمى، واستشهد المصنف بقول الشاعر[74]:

إذا بَلَّ من داءٍ به طنَّ أنّه نجا وبه الدّاء الذي هُو قاتِلُهْ

لكن التأمل في سياق المصنف وايراده لفظة (ثُمّ) التي تفيد التراخي الرُتبي أو ترتيب بمهلة [75] جعلنا نستبعد ظاهرة العرق بعد الحمىَ، يقوي استبعادنا هذا قول الزمخشري"حسنت حاله بعد الهزال"فالمقصود بالرطوبة والنّدى هو استرجاع حال المريض وامتثاله للشفاء كالعود الذي يبس ثم رجعت به النداوة، فكأن المريض في هزاله كالعود اليابس ثم حسنت حاله بعودة الرطوبة والنداوة اليه، فالمرض هنا كان شديداً هَزَلَ صاحبَه وضَعُفَ عودُه ثم بَلَّ فتحسّن ويعضد هذا الاستنتاج صيغة (استبلّ) التي اعقبها المصنف في سياق اللفظة والتي من معاني الصيغة (استفعل) التحوّل[76] فأفادت تغيّر حال المريض وتحسنه بعد هزال.

2- افرق: فرقت بين الشيئين أفْرُقُ فَرْقاً وفُرْقاناً. وفَرَّقْتُ الشيء تفريقاً وتَفْرِقةً، فانفرق وافْتَرَقَ وتَفرَّق [77]". واصل الفَرْقُ: الفصل ومنه فرق الشعر والفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل [78]. وافرق المريض من مرضه أفراقا إذا برأ منه [79]، وكذلك أفراق المحموم من حُمّاه[80]، وذهب ابن دريد [81] إلى أن الافتراق لا يكون إلاّ من مرض لا يصيب الإنسان إلاّ مرة واحدة كالجدري والحصبة وغيره، أما

(74) الألفاظ/ 117.

(75) شرح المفصل، ابن يعيش (ت 643هـ)، 613/8، تحقيق احمد السيد سيد احمد، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر، د.ت.

(76) أوزان الفعل ومعانيها، هاشم طه شلاش/ 109، ساعدت جامعة بغداد على نشره، النجف الاشرف 1971.

(77) الصحاح، 1542/4.

(78) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 373/1.

(79) جمهرة اللغة 399/2.

(80) مقاييس اللغة/ 814.

(81) جمهرة اللغة 400/2.

الأزهري [82] فذهب إلى أن كل عليل أفاق من علته فقد افرق. وزاد بعضهم بسرعة[83]. وحكي عن ابن خالويه أنه قال في كتاب (ليس):"اعتل أبو عمر الزاهد ليلة واحدة ثم افرق فسألناه عن ذلك فقال: عرف ضعفي فرفق بي [84]"وسواء كان الافراق بسرعة أو مرض لا يصاب به الشخص غير مرة واحدة فإنّ دلالة اللفظة توحي بالبرء من المرض.

3- نَقِه: نقِه من مرضه بالكسر نَقَهاً، وكذلك نقَه نقوهاً فهو ناقه إذا صح وهو في عقب علته[85]. أي لا يزال فيه ضعف، أو انه قريب عهد بالمرض لم يرجع اليه كمال صحته وقوته [86]. وكان الأجدر بالمصنف أن يقدمها على اللفظتين السابقتين لان المريض كما تبين حديث عهد بالمرض إذ أعربت اللفظة الأولى عن حسن حال المريض، وجاء توصيف الثانية بفراق المرض البتة.

4- اطرغشّ: قال المصنف"وقد اطرغشّ اطرغشاشاً وهو الاقبال في البرء [87]". وعن أبي زيد اطرغشْ الفرخ تحرك بالوكر، وذكر الازهري [88]: اطرغشّ القوم غيثوا وأخصبوا بعد الجهد والهزال، واستدرك الزبيدي فقال:"المطرغش الضعيف المضطرب القوائم والناقه من المرض غير أن كلامه وفؤاده ضعيف [89]"والذي بدا لنا من دلالة اللفظة انها تسبق حالة الناقه فالأولى صَحّ من مرضه، والثانية لا يزال ضعيفاً في قوته وكلامه.

---

(82) تهذيب اللغة، 107/9.
(83) تاج العروس 46/7.
(84) لم أقف على هذا القول في كتابه: (ليس في كلام العرب) ولعله في الجزء الخامس الذي انفرد بتحقيقه د. محمد أبو الفتوح شريف والمشار إليه في الهامش (1) من الصفحة 77 ضمن كتاب (ابن خالويه وجهوده في اللغة) د. محمود جاسم محمد الدرويش.
(85) الصحاح، 2253/6.
(86) تاج العروس، 417/9.
(87) الألفاظ/ 117.
(88) تهذيب اللغة، 288/8.
(89) تاج العروس، 319/4.

5- اندمل: "اندمل إذا تماثل بعد ثِقل [90]". ولم يوضح المصنف ما الذي تماثل ؟ أهو جرح أم مرض، إذ أن اغلب المعجمات أسندت الاندمال إلى الجرح، قال ابن دريد: الدمل أصل بناء اندمل الجرح إذا برأ[91]. ومنه قول الشاعر [92]:

وجرح السيف تدمله فيبرأ ويَبْقى الدهرَ ما جرح اللسان

واستعمل اللفظ مجازاً فقيل، تدامل القوم: إذا اصطلحوا [93]، ودمل الأرض بالدِّمال أصلحها بما تُستصلح به من القوة. أما صاحب اللسان [94] فقد جعل دمل الأرض الأصل، ومنه قيل للجرح قد اندمل إذا تماثل وصلح. وجمع الرأيين ابن فارس [95] بقوله (د م ل) أصيل يدل على تجمع بسهولة. فاللفظة تدل على صلاح بعد فساد سواء أكان على الحقيقة أم على المجاز. حتى أن العرب تسمي الداء الذي يصيب النخل فَيَسواد طَلْعُه قبل أن يلقح سموه دمالاً تفاؤلاً بالصلاح كما سميت المهلكة مفازه[96].

6- قشقش: قال المصنف:"وتقشقشت قروحه إذا تقشرت للبرء [97]."ويقال للقَرْح وللجدري إذا يبس وتقَّرف، وللجرب في الإبل إذا قفل: قد توسف جلده وتقشقش جلده [98]"ويلحظ ان اللفظة خاصة بالبرء من القروح والأمراض الجلدية، سواء أكانت قروح إنسان أم قروح بعير وأورد الزمخشري ما انشده النضر[99]:

إنّى انا القطران اشفي ذا الجرب

---

(90) الألفاظ/ 117.
(91) جمهرة اللغة، 299/2.
(92) البيت في لسان العرب من غير عزو، 251/11.
(93) جمهرة اللغة، 299/2.
(94) 250/11.
(95) مقاييس اللغة/ 346.
(96) جمهرة اللغة، 299/2.
(97) الألفاظ/ 117.
(98) إصلاح المنطق/ 415.
(99) أساس البلاغة/ 508.

عندي طُلاء وهِناء للنُقب

مقُشقش يُبرئْ منهم من جَرَب

وحكي عن الأصمعي انه كان يقال ﴿قُلْ يأيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ المقشقشتان أي أنهما تبرئان من النفاق كما يقشقش الهِناء الجرب فيبرئه [100] كما انشد النضر.

7- **المبرغش:**"المُبرغش القائم من مرضه يذهب ويجئ [101]". وحكى الأزهري عن ابن السكيت أن اطرغش وابرغش بمعنى واحد[102]. والواضح من كلام الأزهري أن هناك ابدالاً بين الطاء والباء. ولم نجد الكلام في ابدال ابن السكيت ولا في كتب الابدال الأخرى ؛ لان مخرج الحرفين مختلف فالطاء تخرج من أدنى طرف اللسان وما يليه من الثنايا العليا، أما الباء فشفوية [103]. وعلى الرغم من تشابه الحرفين في صفتي الجهر والشدة إلا انهما مختلفتان في الصفتين الأخريين فالطاء (مطبعة مستعلية) والباء (منفتحة مستفله) [104] لذا نجد أن المصنف قد وفق في تقديم اطرغش على ابرغش، فالأولى إقبال في البرء وكأن صفة الطاء تحكي استعلاء المريض على عدوه (المرض) ومهاجمته والإطباق عليه وكأنه في معركة لذا كان في النهاية ضعيفلًفي كلامه وفؤاده وهذا توصيف من أنهى المعركة منتصراً.

(100) الصحاح، 1016/3 ، لسان العرب، 356/9، تاج العروس، 339/4.

(101) الألفاظ/ 117.

(102) تهذيب اللغة، 228/8.

(103) مخارج الحروف وصفاتها، للإمام أبي الإصبع السماتي الاشبيلي (ابن الطحان) (ت 560هـ)/ 83، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، بيروت، ط1، 1984 .

(1-4) المصدر نفسه، 89 و 90.

أما المبرغش فهو دور لاحق في البرء بعد المطرغش وكأن الباء منحت المريض القدرة على الذهاب والمجيء بعد انتصاره على عدوه فكان لصفه الانفتاح اتساعُ [105] في البرء.

8- تطشّا: لم تسعفنا المعجمات في بيان دلالة اللفظة حتى المصنف لم يقل إلا"تطشّا المريض مثل ابرغشَّ [106]". ونعلم أن هذه الألفاظ تمثل دوراً من أدوار البرء من المرض والمفروض أنها تخضع لتدرج دلالي، وأكثر المعجمات بينت لنا أن الطش: هو المطر الضعيف [107] سوى صاحب اللسان والتاج قالا"الطُشاش"بالضم داء من الأدواء يصيب الناس كالزكام، سميت طُشّه ؛ لانه إذا استنثر صاحبها طشَّ كما يطش المطر وهو الضعيف منه [108]. ويبدو أن المصنف قد وفق في تدرج الألفاظ الثلاث"اطرغش، ابرغش، تطشا". فالثالثة هي آخر دور من أدوار البرء يشعر بها المريض وكأنه مصابٌ بانفلونزا خفيفة، ثم يستنثر هذا الرذاذ دليل شفائه والله اعلم.

9- عداد: قال المصنف"وبه مرض عُداد وهو ان يَدَعَهُ زماناً ثم يُعاوده. وقد عَادَّهُ يُعادّهُ عداداً ومُعادَّةً[109]". والبادي لنا من قول المصنف ان العداد مرضٌ، أي ليس من ألفاظ البرء فما المسوغ الذي جعل المصنف يضعها مع ألفاظ البرء؟. ومعلوم أن العدّ: إحصاء الشيء، عدّه يَعُدُّه عدا، وتَعْداداً، وعَدَّده[110]. فاشتقاق اللفظة من الحساب من قبل عد الشهور والأيام، أي كأن الوجع يَعُدُّ ما يمضي من السنة فإذا تمت عاودت المريض، فعداد الوجع اهتياجه لوقت معلوم [111]. وجاء في الحديث

---

(105) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس/ 110، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998.

(106) الألفاظ/ 117.

(107) جمهرة اللغة، 96/1، الصحاح، 1009/3، لسان العرب، 312/6، تاج العروس، 319/4.

(108) لسان العرب، 312/6، تاج العروس، 319/4.

(109) الألفاظ/ 117، 118.

(110) المحكم، 35/1.

(111) أساس البلاغة/ 410.

الشريف"ما زالت أكلة خيبر تُعادُّني [112]"أي تجيئه في مثل الوقت الذي لدغ فيه قال امرؤ القيس [113]:

فبِتُّ بليلة بَثَّت هُمُومي أرِقْتُ فَقُلْتُ في ارَقي آلْعِدَادُ

يقول الشاعر مُنع مني النوم وأرقتُ فهذا الذي بي عداد، أي انه فكَّرّ في سبب أرقه فقال:

سببه هذا العداد، أي ما اعتاد عليه الوقت بعد الوقت من ألم أو سُمّ أو عشق[114]. ومنه عداد الحُميّ: وقتها المعروف، ومنه مرض الملاريا تعاود المريض كل ثلاثة أيام. هذا الذي سوغ للمصنف إدراج اللفظة مع ألفاظ البرء؛ لأن المريض يشعر انه برء لمفارقته الألم أو الحمى أو المرض ثم يعود ويبدأ من جديد.

10– السليم: سَلُمَ من البلاء سلامة وسلاماً، وسَلَمَ من المرض بُرِئ [115]. والسليم من ألفاظ الأضداد في قول بعض أهل اللغة[116]. إذ يسمى اللديغ سليماً كما قال المصنف:"وكذلك السليم للّديغ يُعَادُّهُ السَمُّ [117]". واستشهد بقول الشاعر[118]:

أُلاقي منْ تذكُّرِ آلِ سَلْمَى كما يَلْقى السَّليمُ مِنَ الْعِداد

فعداد السليم"أن تُعدَّ له سَبْعةُ أيام فإذا مضت له سَبْعَةُ أيام رَجَوْا لَهُ البُرْءُ وما لم تمض له سبعة أيام فهو في عداده [119]"فالسليم إذا هو اللديغ إذا لم يمت عن اللدغة عاوده المرض من

---

(112) النهاية في غريب الحديث والأثر، 189/3.

(113) ديوانه/ 288.

(114) هامش الالفاظ/ 118.

(115) أساس البلاغة/ 306.

(116) الأضداد، الأصمعي/ 38، الأضداد، السجستاني/ 99، الأضداد، ابن السكيت، 192 (ضمن ثلاث كتب في الأضداد) نشرها: د. أوغست هفتر، دار الكتب العلمية، مصورة عن المطبعة الكاثوليكية بيروت، 1983م .

(117) الألفاظ/ 118.

(118) المصدر نفسه.

(119) الألفاظ/ 118.

اجلها في وقت بعد وقت [120]. وهذه حال السم كما جاء في الحديث النبوي في اللفظة السابقة، فتسمية الملدوغ سليماً فالاً له بالسلامة وقيل أُسِلم لما به [121]. فالفأل بالسلامة هو الذي حمل المصنف على وضعها مع ألفاظ البرء .

(120) هامش الألفاظ/ 118.

(121) الصحاح، 1952/5.

Disease Expressions Compiled by Ibn As-Sikkeet

***Rawa M. Al-Zarary**

ABSRACT

This research is extended from a previous one which was entitled as"Disease Field in Ibn Al-Sekkeet(233 H.): A study in synonymy and symptoms". Both of the two researches fall in the same stream, and both are related to the same semantic field which is: Disease field in Ibn Al Sekkeet.

This study is concerned with the names of diseases and the recovery from them. The study, then, falls in two parts. We named the first one as"names of diseases"and the second one as"terms of recovery". The number of the term in both parts was identical: ten for each one. We mentioned in the first part the purpose of naming each disease. Some of these names were derived from the infected organ or the reason or the cause or the effect left by that disease.

As for the second part, which is named as"terms of recovery". We did not call it healing, for example, because the latter may mean the disappearance of the symptoms but not the end of the disease. This is so because the meaning of recovery is the complete healing of the disease.

* Dept. of Arabic/ / College of Arts/ University of Mosul.